

الفصل الخامس

ويتعرض الناقد لمعنى أساسى فى التجربة السابقة، تجربة الشعر الحر فيصفاها بالرومانسية فى مواضع عديدة، ويصف الشاعر بدر شاكر السياب بأنه لا يكف عن استخدام تقنيات التعبير الرومانسية المعهودة لدرجة أن مفردات الطبيعة بشكل عام هى معطياته وبدائله الدائمة، ومواده التى يستخدمها فى التصوير، فالرياح تلهث تماماً مثل جيشانه، والقلوع تطوى وتتشرب كأنها الوجيب فى ضلوعه وهكذا، والشاعر هنا لا يكتفى برصد عناصر الطبيعة بل يمزجها بأعضائه وجسده ومشاعره تماماً كما كان يفعل الشاعر الرومانسى القح . والحقيقة أن حركة الشعر الحر لم تكن فتحاً جديداً فى تاريخ الشعر العربى بل لقد كانت استكمالاً لمهام المرحلة الرومانسية التى ولدت غير مكتملة فالمضمون الرومانسى كان ثورياً تجديدياً يسعى لنقل محور الشعرية من توصيل أفكار أخلاقية للمتلقى إلى الجانب الذاتى والوجدانى، وهذه نقلة جذرية بالفعل فى تاريخنا الشعرى ولكنها نقله ناقصة لأنها تمت من خلال الشكل العمودى التقليدى مما يختلف مع مجمل الحركات الرومانسية فى الشعر العالمى كله الذى تغير مضموناً وشكلاً فى الوقت نفسه، لذلك جاءت مدرسة الشعر الحر لكى تستكمل هذا النقص التاريخى، ولكى تتضح الرومانسية فى خلالها بل وتصل إلى أقصى ذروة فى هذا النضج.

وهكذا مثلت التجربة التالية، تجربة المجاز اللغوى الثقيف مرحلة جديدة ذات طابع مختلف بقوة عن السابق، حيث أفضت الأساليب التعبيرية بعد طول التفاعل مع الحياة والفكر واللغة إلى طريق مختلفة حيث يخف وزن التجارب العينية، وتتعرف على ما يسمى بـ [الرؤيا] ، وحيث تصبح الكلمات رموزاً لعوالم غامضة وخفية، وأخذت التجربة الجديدة تتعد بخطى واسعة عن القاعدة التعبيرية السائدة وتغرق فى مناطق بكر جديدة لم يعرفها الشاعر ولا القارئ من قبل من خلال هذه الكثافة اللغوية العارمة والبناء المدهش المعقد متعدد المحاور.

لقد مدت التجربة الجديدة أذرعها إلى كل اتجاه فغرفت من تجربة التصوف فى القرون الوسطى فى مرة، وغرفت من الحداثة الغربية فى مرة أخرى، واستفادت من أسطورة الشرق وعقلانية الغرب ودفء التواصل التاريخى المحلى وخصوصية الذات، وغير ذلك من معطيات غزيرة أثرت الحياة الثقافية.

وكما اكتشف الناقد استفادة الشاعر عبدالوهاب البياتى المباشرة من الشاعر الأسباني "لوركا" وكيف أصبحت صورة الشاعر الإنجليزى "ت . س . اليوت" عن